البعث
اصالة عربية وعقل ثوري

أيها الرفاق والرفيقات

نعيش في ظروف في منتهى الخطورة والجدة، ظروف خطيرة ولكنها غنية فيها خلق وفيها امكانات غزيرة وآمال واسعة.

في ظروف كهذه يصل فيها الخطر على الوجود القومي وعلى وجود الامة ذروته، تبرهن الامة عن مقومات الحياة فيها ومقومات البقاء وعن استعداداتها الحضارية الغنية فتتيح هكذا لأبنائها على مختلف مستوياتهم أن يتأكدوا مرة جديدة من هذه الحقيقة التي يؤمن بها المناضلون بأن الامة العربية امة حية فيها قابلية للتجدد المستمر وللانبعاث المبدع وانها في هذا العصر تبدأ نهضة حضارية جديدة هي بداية تاريخ لها وللانسانية أيضا.

هكذا يتاح للمؤمنين بأمتهم وللمناضلين في سبيل حقوقها واهدافها بين فترة واخرى ان يسعدوا بهذه الرؤية، بهذه اللحظات الخالدة التي تعزز فيهم الايمان والثقة بالمستقبل.

لا اعتقد أن البعثيين يمكن ان ينتابهم شك في حقيقة امتهم وحقيقة استعدادها الاصيل لثورة عميقة شاملة في هذا العصر ولكن الانجازات الكبيرة التي تتحقق في فترات فاصلة حاسمة تغني نفوس المناضلين وتغني رؤيتهم وتكشف لهم معاني أعمق في النضال وفي المهمات التي ندبوا انفسهم لها.

ماذا حدث أيها الرفاق حتى تغير الوضع العربي في فترة زمنية قصيرة جدا

---

(١) لقاء مع طلبة الدورة الثامنة عشرة الاعتيادية لمدرسة الاعداد الحزبي في ٢٦/ ١١/ ١٩٧٨.

لاتتعدى الاسابيع المعدودة؟ هذا التغير الحاسم الذي حصل في هذه الفترة القصيرة يبدو وكأنه معجزة ولكنه في الواقع لم يأت صدفة ولم يأت دون مقدمات ودون اسباب قريبة وبعيدة ودون تهيئة وعمل دائب استمر سنوات ساهم فيه الشعب بكامله وكان الحزب بمناضليه طليعة للشعب في هذهِ المهام الثورية وهذه النهضة التي بناها حزبكم في هذا القطر، انه تراكم لعمل يومي، لعمل خططت له عقول ثورية ونفوس عربية اصيلة تغار على مصلحة الشعب وعلى مصير الامة فأمكن أن يوجد بعد سنين من هذا العمل الذي كان بعضه ظاهرا واضحا وبعضه خافيا مستترا لايعلن عن نفسه، امكن بعد كل هذا الوقت وهذه الجهود ان تبني القاعدة الاساسية القادرة على أن تتجمع فيها وحولها آمال الامة، أن تكون موضع الامل والثقة بما تم فيها من بناء للقدرات البشرية، للعقول الثورية وكذلك ما استطاعت هذه القدرات وهذه العقول ان تحوله في أوضاع المجتمع وفي الاشياء حتى طوعت الصعوبات ووفرت الوسائل وأمكن أن يظهر آخر الامر في وسط الظلام الذي أشاعه الاعداء في وطننا الكبير، في وسط روح اليأس والهزيمة أن تظهر هذه القاعدة الصلبة التي استطاعت في ساعة الخطر الشديد ان تكون الملجأ وأن تتطلع اليها الانظار وأن يُستمد منها العزم وأن تنطلق منها المسيرة لعمل قومي واسع.

هذا حزبكم أيها الرفاق وهذا شعبكم العربي، حزبكم الذي مضى على مسيرته النضالية عشرات السنين حقق خلالها انتصارات قومية معروفة واصيب خلالها بعثرات ونكسات كانت في بعض الاحيان موجعة. هذا الحزب له تأريخ صاعد متكامل أفضى الى هذا النضج الذي تمثل في قطركم وفي تجربة قطركم هذا. وأن الافراد المبدعين لايظهرون عبثا ولا يظهرون ـ بدون تهيئة في المجتمع، في تجارب المجتمع، في حاجات المجتمع وأن ظهورهم الذي يبدو احيانا وكأنه صدفة ومعجزة انما له تفسير اجتماعي، بل الحاجات والتجارب والانتصارات والنكسات كلها تساهم في خلق هؤلاء الافراد الذين تكتمل فيهم الشروط ويتحقق فيهم التجاوب والانسجام بين تطلعاتهم وتطلعات مجتمعهم وشعبهم وعندها يقومون بتمثيل ارادة هذا الشعب على اقوى شكل لتمثيل ارادته العميقة بتحقيق القفزات في طريق تحرره

وتقدمه معتمدين على هذا التجاوب، معتمدين على تجربتهم التي هي تجربة الشعب والامة التي تلخصت فيها تجارب الشعب والامة فيأتون ليحققوا انعطافاً حاسماً تكون اسبابه قد نضجت وتهيأت في المجتمع، ولكن ليس اي فرد يستطيع ان يمثل ارادة الامة ويحقق مثل هذا الانعطاف اذ لابد من شروط خاصة، صعبة التوافق تتهيأ في المراحل التأريخية الفاصلة ويكون فيها هذا الانسجام الفائق بين عمل القائد وبين إرادة الشعب والامة. لقد توفر لهذا الحزب بعد تجارب مضنية برهن فيها الحزب انه مستمسك برسالته لايتخلى عنها مهما تكون العقبات والنكسات، مهما تبلغ مؤآمرة الاعداء عليه، هذا الايمان وهذا الاصرار رغم تبدل الظروف وقسوة الظروف هو الذي يسمح اخيرا بأن تظهر القيادة الفذة التي تستند الى هذا الايمان، الى هذا الاطمئنان بأن وراءها حركة تأريخية لابد ان تشق طريقها وتتابع مسيرتها رغم كل شيء، عندها ينطلق هؤلاء الافراد مستندين الى هذا الشعور والى هذا اليقين وتتحقق على ايديهم الانجازات التي تأتي لتعوض عن كل فترات الجمود والتراجع التي اصابت الحزب في بعض الاوقات. . ولتظهر في يوم واحد جوهر هذا الحزب وما يكمن فيه وما ينطوي عليه من أصالة ومن امكانات ومن تصور صادق لابعاد المهمة الثورية الحضارية التي تقدم لحملها.

رأيت أيها الرفاق ان أبدأ بالبداية الصحيحة التي تؤهلنا لأن نفهم بوضوح ما تحقق في هذا الظرف الاخير وتؤهلنا لأن نستجلي الظروف المقبلة وكيف يمكن ان نواجهها ونتصرف في مواجهتها. البداية الصحيحة هي هذه ان عملاً قومياً تأريخياً، لايمكن ان يكون ابن ساعته، لايمكن ان يكون مرتجلا، لايمكن أن يكون تكوينه سهلا عاديا لابد اذن ان يمر بطريق طويلة ومشقات كثيرة وأن يتمرس بالمصاعب حتى تقوى بنيته وتتعمق نفسيته وتتسع آماله وطموحه، كذلك الامة أيها الرفاق والرفيقات، الامة يمثلها الحزب بشكل مصغر ولكنها هي ايضا تتكون هذا التكون السليم الصحي من خلال التجارب، من خلال التكامل بين اجزائها المختلفة بين ادوارها ومراحلها المختلفة، النكسة تولد النصر، والنصر قد يبقى فيه أثر للامراض السابقة فيستدعي مزيدا من التعمق، مزيدا من الدأب ومن الجدية ومن الشمول، فيتعثر

النصر حتى يظهر مرة اخرى بشكل اكمل وأروع، هذا هو تأريخ الامة في نهضتها الحديثة.

وأن أروع ما تحقق أيها الرفاق في الظرف الأخير كرد على التحدي الاستعماري الصهيوني هو كما تعرفون جميعا وكما نشعر اعمق الشعور هو هذا اللقاء بين سورية والعراق، هو الرد التأريخي لانه سبق مخططات الاعداء، مخططات الامبريالية العالمية بكل تفوقها العلمي التآمري وسبق خبث الصهاينة وكيدهم بلحظات من اللقاء الاخوي كانت نتيجتها أن دخلنا ودخلت الجماهير العربية في الوطن الكبير الواسع في مرحلة استرداد الثقة بالنفس والاستبشار بالمستقبل والعزم والتصميم على مواصلة الكفاح بشعور بالقوة لامثيل له وشعور بان الاعداء مهما أوجدوا ومهما اخترعوا من أسباب التخريب والتآمر فكل هذا سيكون على السطح عاجزا خائبا لايمس جوهر الامة لان الامة قادرة في الاوقات الحاسمة ان تبتكر وتصنع المعجزات مستندة الى تراثها الحضاري، مستندة الى معاناتها الصادقة في حاضرها، انتقلنا أيها الرفاق في لحظات من وضع التجزئة الى رحاب الوحدة، من حصار التجزئة الى رحاب الوحدة، الوحدة التي تمثل بالنسبة الى كل عربي تجسيدا للحرية بأوسع معانيها واعمقها، حرية العربي هي في وحدة امته لانه يشعر بانه يسير على الطريق السليم يسترد كامل شخصيته وكامل قدراته ويواجه مصيره بوعي واضح وارادة حاسمة وهل للحرية معنى اشمل واعمق من أن يواجه الانسان مصيره بالوعي والارادة في اعلى درجاتهما؟ انتقالنا أيها الرفاق الى جو الايمان بأعمق معانيه، الايمان الذي يمر على الماضي وعثراته وجراحه فيمسحها ويطهرها ويجعل منها قوى وحوافز للمستقبل..

هذا اللقاء الذي كان وسيبقى أمل الجماهير العربية في الوطن الكبير، هذا اللقاء صنعته الاصالة القومية والعقلية الثورية، صنعه البعث، والبعث هو هذا أيها الرفاق أصالة عربية وعقل ثوري، صنعه البعث للامة العربية كلها لان المطلوب الان هو جواب قومي ينقذ الامة كلها لان الخطر يهدد مصيرها كلها فاذن ليس لقاء سورية والعراق هو لقاء قطرين انما هو لقاء الامة العربية بذاتها، لقاء الجماهير العربية بنفسها بروحها النضالية بأملها في المستقبل بثقتها. بالنصر والتغلب على مؤآمرات

الاعداء.

دبر العقل الاستعماري مكيدة، العقل الاستعماري والعقل الصهيوني دبرا مكيدة كبيرة للامة العربية، عملا للوصول اليها زمنا طويلا وان بدت كأنها من صنع الاشهر الاخيرة، هذه المكيدة هي التآمر على وحدة الامة العربية، على تماسكها العضوي باخراج مصر من المعركة، ومن المصير العربي لو أمكنهم ذلك، فكان لابد أن يأتي الجواب بهذه القوة، بهذا الصدق، في تلبية نداء الامة من اعماق الحاجة واعماق الضرورة بان نفتح من جديد طريق الوحدة العربية واسعا مشرعا وان تعود الامال فتنتعش في صدر كل عربي وأن يستهين عند ذلك بمؤآمرات الاعداء ومكائدهم، لاليغفو وينام بل يتجند ويجاهد لان الوحدة وحدها تجعل النضال مثمرا. ومضمون النجاح بالنصر، وعندما يكون الرد رداً وحدويا بهذا المستوى فان المؤآمرة التي دبرت لمصر تفشل فشلا كاملا لانها بُنيت بالاصل على اليأس، على حالة اليأس، وحين تعيد الوحدة الامل الى الجماهير العربية، فان مصر بجماهيرها المناضلة الاصلية تكون قادرة على كشف المؤآمرة وعلى الرد عليها وهكذا نكون قد كسبنا الوحدة وكسبنا مصر في آن واحد.

لم نصدق في يوم من الايام ان شعبنا في مصر يمكن ان ينفصل عن جسم الامة العربية او يرضى لنفسه مصيرا غير مصير امته ولكنها ظروف وقتية وخدع محبوكة استطاعت أن توجد وضعا مفروضا مزيفا يتنافى استمراره مع طبيعة شعبنا العربي في مصر ومع تأريخه ومع حاضره المليء بالتضحيات من اجل المصير العربي، ولكن اذا كنا نريد لمرحلتنا الجديدة الصاعدة التي بدأت بهذا الانجاز الوحدوي الرائع، واذا كنا نريد للمرحلة الجديدة بان تكون متقدمة نوعيا عن المراحل السابقة فعلينا ان نستفيد حتى من مؤآمرات الاعداء ومكائدهم وحتى من اعمال الحكام العملاء الذين رضوا لانفسهم ان يكونوا ادوات مسخرة لاعداء امتهم فننظر بموضوعية وبتجرد الى الثغرات التي استغلها الاعداء واستغلها العملاء لكي يشوشوا الوعي مؤقتا عند قسم من الشعب-ولكي يستطيعوا ان يمرروا ـ لحين ـ هذه المؤآمرات، فان شعبنا في مصر يدفع ثمن عروبته باهظا من دماء عشرات الالوف من الشهداء، ويدفع من قوت يومه ولكن

التجزئة الراهنة جعلت هذا الشعب العظيم في اوضاع اقتصادية متردية بينما هناك اقطار ترتع في البحبوحة بعدد ضئيل من السكان . . هذه المفارقات في وضعنا القومي لو رضينا بالتجزئة واحكامها لأوصلت الى شرور وويلات كالتي نشاهدها في قطرنا العربي الكبير «مصر» وفي غير مصر من الاقطار اذا لم نتمرد على التجزئة حتى ولو لم نستطع ان نحقق الوحدة الكاملة التي تتطلب زمنا وطريقها ماتزال طويلة، انما علينا ان نبني المستقبل بالارادة وبالوعي وبالرؤية الموضوعية، ننظر الى هذه الفوارق بين الاقطار، وننظر الى ما يمكن للاستعمار والصهيونية أن يستفيدوا وأن يبنوا عليه من تلك الفوارق لكي نجعل النضال العربي اكثر استيعاباً لحاجات المجتمع العربي ولامراض الواقع العربي، لكي نجد لها العلاجات الناجعة، لكي نسهل عملية الوحدة، لكي تكون الوحدة في الشعور وفي التجاوب الشعوري مع ابناء شعبنا وقومنا في أي قطر كان، قبل أن تصبح الوحدة وحدة سياسية يجب ان تكون وحدة شعورية صادقة حتى تتحول الى وحدة نضالية وحتى تثمر فيها ما بعد الوحدة السياسية.

أيها الرفاق

ان ما يستغله الاستعماريون والصهاينة من ثغرات في اوضاع شعبنا العربي في مصر ـ اوضاعه الاقتصادية ـ ايضا يجدون ما يستغلونه في اوضاع شعبنا في فلسطين سواء الباقي في الارض المحتلة الذي يعاني من مظالم الاحتلال او الذي شرد من وطنه ويعاني ايضا من نتائج هذا التشريد فقد كان جواب الشعب العربي الفلسطيني ثورة فريدة في هذا العصر فرضت احترامها على العالم فاننا كعرب وحدويين لايجوز أن نهمل بعض الحقائق فان وراء العقلية الوسطية التي تتمثل في بعض القيادات الفلسطينية هذه العقلية التي تريد للنضال أن ينتهي في وقت وللثورة أن تتحول الى دولة ونظام بالتسويات من دون انتزاع ذلك بالثورة والنضال، هذه العقلية تستند للاسف الى ثغرات في أوضاع الشعب الذي أُخرج من وطنه والشعب الذي يعاني من ويلات الاحتلال وهذا يوصلنا الى عبرة ودرس بان قضية فلسطين ان لم تتحول الى قضية كل قطر عربي والى قضية كل مناضل عربي في نضاله اليومي واذا لم نمض في طريق العمل الوحدوي لكي نعطي البرهان الساطع على أن القضية القومية وحدة

لاتتجزأ وان الثورة الفلسطينية اذا لم تكن جزءاً عضويا من الثورة العربية وان لم تتفاعل معها ومع جماهيرها فاننا معرضون لمثل ما نشاهده احيانا من ركض اوسعي وراء التسويات التي تتنافى مع حقوق امتنا في ارضها ومع اهداف ثورتنا العربية في التحرر الكامل.

هذا ما يرتب على سيرنا في المستقبل ان نكون اكثر استيعابا لاوضاع اقطارنا والانرتاح في الاجزاء التي نعمل فيها متناسين ما يعاني منه شعبنا على الساحات الساخنة.

ان النضال العربي الذي يقوده حزبنا يجب أن يجسد الوحدة العربية تجسيدا حيا بان نكون عربا حاضرين في كل قطر ومع كل طبقة كادحة معانية مجاهدة وأن نشعر بآلام شعبنا اينما وجد. هذه المرحلة التي ندخلها الآن تهيىء لنا سبلا ووسائل انجع في مكافحة المؤآمرات الاستعمارية والصهيونية لكي لاينشأ اختلاف او تضعضع في الثورة والنضال ولكي نسترد الذين ضللوا زمنا وفي ظروف استثنائية. .

أيها الرفاق

هذه الظروف الاخيرة اعطت تأكيدا لتصور الحزب بان الامة العربية تعيش مرحلة انبعاث وانها في تنامٍ وصعود رغم المظاهر التي قد تخدع بين الحين والاخر عن رؤية هذه الحقيقة. . هذا التصور هو اثمن ما يمكن المناضلين ان يتسلحوا به لانه يضعهم دوما في حركة التأريخ في انسجام مع حركة التأريخ. . قد لايجنبهم الاخطاء الصغيرة ولكنه بالتأكيد يضمن لهم الانتصارات المهمة وفي الظروف العصيبة الحاسمة مثلما حدث في هذا الظرف، فالامبريالية جهد ما تستطيعه أن توظف عملها واختراعاتها لاعاقة سير الامة العربية نحو اهدافها، وظنت انها وجدت اخيرا ما يضرب هذه النهضة العربية ويكسر موجتها وانطلاقتها عندما توفر لها عميل مثل السادات استفاد كما قلنا من ظروف شاذة في أوضاع مصر الاقتصادية ولكن عمل الامبريالية هو دوما من الخارج بينه وبين العمل العربي النضالي فرق نوعي كبير، العمل العربي النضالي الواعي المستند الى التصور التأريخي الذي يمثله حزب البعث، هو عمل من الداخل بناء للامة تساهم فيه بكل ابنائها بكل امكانياتها ومواهبها باجيالها الغابرة

بتأريخها وتراثها وبامكانياتها للمستقبل. عمل حي، عمل عضوي ايجابي بناء، بينما العمل الاستعماري والصهيوني هو للتخريب، للاعاقة، للتضليل وشتان بين العملين، هذا التصور أيها الرفاق باننا نبني بنضالنا للامة العربية كلها وأن الامة العربية في نهضتها وانبعاثها تبني للانسانية كلها، هذا التصور، هذا الايمان والدأب على متابعة السير لتحقيق هذه المثل والاهداف هي التي تضمن آخر الامر وفي كل منعطف تأريخي مصيري تضمن لحركتنا أن تتفوق على التخريب الاستعماري مهما يكن بارعا وتضمن بان يعلن نضالنا عن انسجامه مع حركة التأريخ ومع سير الانسانية نحو مثلها الخيرة، وتضمن بالتالي ان يكون الرأي العام العالمي الى جانبنا كما تضمن أن تعزز ثقة العرب بأنفسهم وبمصيرهم وبرسالتهم في هذا العالم، فنحن على اختلاف اقطارنا واختلاف اوضاعنا الاجتماعية والحضارية لن ننسى مطلقا باننا امة واحدة وان هذه الفوارق ليست جوهرية وانه جسم واحد لابد ان يزيد من تفاعله مع أعضائه، لابد ان يقترب من نفسه، لابد ان ننقل نضالنا ومبادئنا الى كل قطر مهما تكن المسافة بعيدة ومهما تكن الاوضاع الفكرية والمادية مختلفة متباينة يجب ان نحقق هذه الوحدة في تصورنا وفي اندفاعنا نحو الانتشار في وطننا الواسع وفي ايصال صوتنا ومبادئنا الى ابناء قومنا في ابعد الاقطار.

انها مرحلة جديدة تبدأ والامة لاتجد على امتداد الوطن الكبير املا يرتجى ومركزا او محورا تلتف حوله جهود المخلصين، جهود الجماهير العربية التي تعاني وتكافح تتلفت فلا تجد غير هذه الشعلة يمثلها ويحملها حزب البعث وهذا يرتب مسؤوليات ضخمة، يرتب ان نستوعب هذا التقدم الذي حققناه لكي تنقل الى مرحلة اعلى، ان نضع الاسس العقلانية التي تكفل لهذا التقدم ان لاينتكس ويتراجع بل ان يستمر في تقدمه ـ الذي حققنا بالجهد الصبور والعمل الطويل مستوى أهلنا لأن نرد على الاخطار المصيرية هذا الرد الكبير، ولن نحافظ على هذا المستوى ولن نطوره الى اعلى الا بنفس الفضائل التي اوصلتنا اليه، أي بالعمل الدؤوب، بالتفكير العلمي العقلاني الذي لايمكن ان يسكت فينا حماستنا وعاطفتنا واندفاعنا فهذه متوفرة ولكن الصعوبة هي في ان نركز على العقلانية التي هي الطور الجدير بمرحلتنا الجديدة كلما وصلنا، كلما خرجنا

من مآزق كثيرة ومصاعب كثيرة ظننا انها ليس منها مخرج ولكن بهذه العقلانية، بهذا التوفر على النضال الواعي وصلنا الى هذا الحد فاننا نستطيع ان ننظر الى المستقبل بأمل كبير وثقة بالنفس عميقة فقد اعطتنا الظروف الجديدة مصداقية لاسلوبنا، لاسلوب. عملنا ولصحة مسيرتنا ولصحة التصور التأريخي الذي بني حزبنا عليه.

والسلام.

٢٦ تشرين الثاني ١٩٧٨